﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣﴾ [المائدة: 73]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

في الآية السَّابقة ذكرَ اللهُ كُفْرَ مَن قالوا: إنّ الله هو المسيحُ، أو ما يؤدِّي إليه مِنَ القول بأنَّ المَسيح ابنُ الله، وفي هذه الآية يذكر كلامًا آخرَ للنَّصارى، وهو قولهم: إنَّ الله ثالثُ ثلاثةٍ[1]، فهو شروعٌ في بيان كفر طائفةٍ أخرى منهم[2]، والنَّصَّان الكريمان وارِدَانِ على موضوعٍ واحدٍ، وهو النَّصَارى، وكلُّ آيةٍ من الآيتين تبيِّن ناحية مِن نواحي اعتقادِهم، واكتفى في الآية الأولى بِزَعْمِهم في المَسيحِ ﷺ لبَيَانِ مِقْدَارِ افْتِرَائِهم عليه ومناقضتهم لمن ينتسبون إليه، وأنَّه لَا يصحُّ أنْ يُسمُّوا: مَسيحِيِّين؛ لأنَّه بريءٌ منهم، وذُكِرَتِ الثَّانيةُ لبيانِ حقيقة اعتقادهم[3].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَنتَهُواْ﴾: النُّونُ والهاءُ والياءُ: تدلُّ تصاريفُهَا على غايةٍ وبلوغٍ، يُقال: نَهَيْتُه عنه، وذلك لأمر يفعلُه، فإذا انتهى؛ فتلك غايةُ ما كان وآخرُه[4]، والنَّهي: خلافُ الأَمْرِ، تقول: نَهَيْتُهُ عنه؛ فانْتَهى عنه، وتَناهى، أي: كَفَّ[5]، فالنَّهي: الزَّجر عن الشَّيء والكفُّ، وهو طلب ترك المنهيِّ عنه، ولا فرقَ من حيث المعنى بين أن يكون بالقول أو بغيره، والانتهاءُ: الانْزِجَارُ عمَّا نُهيَ عنه، وطلب كفٍّ عن بَدْءِ أمرٍ أو عن استمراره، وبمعنى: الكفِّ.

هذا هو دلالة كُلِّ ما جاء مشتقًّا من (نهي)[6]، وهو معنى قوله: ﴿يَنتَهُواْ﴾ في الآيةِ.

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2306.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/66.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2306.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نهي).
(5) الخليل، العين: (نهي)، والجوهري، الصحاح: (نهى).
(6) الرّاغب، المفردات: (نهى)، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (نهي)، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (نهى).

2) ﴿لَيَمَسَّنَّ﴾: الميم والسِّين تدور اتشقَاقَاتُهَا على جَسِّ الشَّيء باليد، والمَمْسُوسُ من الماء: ما نالته الأيدي[1]، والمسُّ: يقالُ فيما يكون معه إدراكٌ بحاسَّة اللَّمس، ومنه يُقالُ في كلِّ ما ينالُ الإنسانَ من أذًى[2] وإصابةٍ بمكروهٍ، وهو من المُخالطة الدَّقيقة القويَّة الأثر، ثُمَّ استُعير للضَّرب والأخذ والعقوبة ونحوها[3]، ومعناه في الآية الكريمة: إيقَاعُ العذاب على مَن كَفَرَ.

## ❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

غاية الضَّلال اعتقادُ الإلهِ الواحدِ المتفرِّدِ بالألوهيَّة أنَّه ثالث ثلاثةٍ:

كابروا في كفرهم، وأصرُّوا على جحودهم، وبالغُوا في غيِّهم، وبلغ الخذلان بهم حدَّ أنْ حَكَمُوا لِلْوَاحِد بأنَّه ثلاثة، وأنَّهُ تعالى - بزعمهم - واحدٌ من ثلاث آلهات: هو والمسيحُ ومريم، وأنَّ الإلهيَّة مشتركةٌ بين هؤلاء الثَّلاثة، ولا يخفى فسادُ هذا على مجنون، فكيف على عاقل لا يدرك حقيقة الخالقِ المتَّصف بالصِّفات العُلا؟ تعالى عمَّا يقول المبطلون، وذلكم صنيعٌ يستحقُّ الوعيدَ والتَّهديد بمسِّ العذاب، وهو وعيدٌ بعذاب الدُّنيا مِنَ القَتْلِ والسَّبي وبعذابِ الآخِرَةِ مِنْ بَعْدُ ممَّا لا يُفْلِتُ منه أحدٌ مِنْهُم[4].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

**علَّة الفصل في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾:**

إبطالُ إشراك غير الله تعالى معه في الألوهيَّة

الآيةُ استئنافٌ، قُصِدَ منه الانتقالُ إلى إبطال مقالةٍ أخرى من مقالات النَّصَارى الَّتي عليها مُعظم طوائفهم في جميع الأرض، وهي أنَّ اللَّهَ ثالثُ ثلاثةٍ[5]، ولمَّا كان نوعًا مِنَ المقال جديدًا؛ فصَلَ إيذانًا بجِدَّته، واختلافه عن سابقِه.

(1) ابن فارس، المقاييس: (مسّ).
(2) الراغب، المفردات: (مسس).
(3) ابن الأثير، النهاية، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (مسس).
(4) القشيريّ، لطائف الإشارات: 1/440، وابن عطية، المحرّر الوجيز: 2/222.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/281.

### براعة توكيد الكُفْر:

حشدُ المؤكِّدات ترسيخٌ لكفرهم

الآيةُ إخبارٌ مؤكَّدٌ كالَّذي قبله[1]، فقد أكَّد ﷻ كفرَهم أوَّلًا بتكفيرهم؛ لأنَّهم زعموا أنَّ المسيحَ هو الله، ثُمَّ قرَّروا أنّ الله ثالثُ ثلاثةٍ، وأكَّد سُبحانه كُفْرَهُم في الحالَيْنِ بـ(اللَّام) و(قد)[2]، والقسم المقدَّر؛ لأنَّهم غالَوْا في إطراء عيسى وَوَضْعِهِ في غير موضعِهِ، كما غالتِ اليهودُ في الكُفْر به، وفي وصفه بالأوصاف التي هو بريءٌ منها[3].

### بلاغة الكناية في لفظ القول:

القول لفظٌ مَذَلَ بـه الـلِّـسـان، واعتقادٌ يُؤْمِن به الإنْسَان

المرادُ بـ ﴿قَالُوٓاْ﴾: اعتقدوا، فقالوا؛ لأنَّ شأنَ القولِ أنْ يكون صادرًا على اعتقادٍ، فالقول لفظٌ مَذَلَ به اللِّسان[4]، واعتقادٌ يُؤْمِن به الإنْسَان، ومعنى ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾: عمَّا يعتقدون؛ لأنَّهم لو انتهوا عن القول باللِّسانِ، وأضمروا اعتقاده؛ لَمَا نفعهم ذلك، فلمَّا كان شأنُ القول أنَّه لا يصدرُ إلَّا عن اعتقادٍ؛ كان صالحًا؛ لأَنْ يكونَ كنايةً عنِ الاعتقاد مع معناه الصَّريحِ[5].

### سرُّ التَّعبير عن القائلين بالاسم الموصول:

تقرير اعتقادهم بالكُفْر سببٌ لوعيدهم بالعذاب

عدل في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾ عن التَّعبير عنهم بضَميرهم إلى الصِّلة المقرَّرة لمعنى قولِهم واعتقادهم بالكُفْر؛ لِقَصْدِ تسْجيلِ اعتقادِهم بالكُفْر، وليكونَ الاسمُ الموصولُ مؤذِنًا بِسببِ الحُكْمِ المُخبَر به عنه[6]؛ لأنَّ التَّعبير بالموصولِ يشيرُ إلى أنَّ الصِّلة هي سببُ الحُكْم[7]، وليثبت أنَّ ذلك القولَ كُفْرٌ باللهِ، وأنَّ الكُفْر سببُ العذاب الَّذي توعَّدهم به[8].

---

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/221.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2308.
(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 4/237.
(4) العبارةُ في الخصائص، لابن جني: 1/72. - وفي لسان العرب لابن منظور: (مَذَلَ): مذلت نفسه بالشيَّء: طابت، وسمحت، ورجل مذل النَّفس والكفِّ واليد: سمح، ومنه قيل: مَذَلَ لسانه بكذا، أي: سمح به، وسهَّل عليه.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/282 - 283.
(6) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/284.
(7) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2309.
(8) رضا، تفسير المنار: 6/402.

### دلالة التَّركيب في قوله: ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾:

مناط اعتقادهم تثليثُ الآلهة، وليس توحيدَها

قوله: ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾: معناه واحدٌ من تلك الثلاثة؛ لأنَّ العربَ تصوغُ من اسم العدد - مِن اثنين إلى عَشَرَة - صيغةَ فاعلٍ مضافًا إلى اسم العدد المشتقِّ هو منه؛ لإرادة أنَّه جزءٌ من ذلك العدد، نحو: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [التَّوبَة: 40]، فإن أرادوا أنَّ المشتقَّ له وزنُ فاعلٍ هو الذي أكملَ العددَ؛ أضَافُوا وَزْنَ فاعِلٍ إلى اسم العدد الَّذي هو أرقى منه، فقالوا: رابعُ ثلاثةٍ، أي: جاعل الثَّلاثةِ أربعةً[1]، ومرادُهم بقولهم: ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾: اللَّه، ومريمُ، وعيسى، فقد زعموا أنَّ الإلهيَّة بين الثَّلاثة، وأنَّ كلَّ واحدٍ من هؤلاء إلهٌ، يؤكِّد هذا القولَ مِن مذهبهم قولُه تعالى لِلْمَسِيح: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ﴾ [المائدة: 116][2].

### بيانُ الإضمار في مقولة التَّثليث:

أعظمُ الإشْراكِ هو الإشْراكُ في الألوهيَّة

في قوله: ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ بيانٌ أنَّهم كانوا يُشركون مريم وعيسى في الإلهيَّة، أي: إنَّهم قالوا: اللَّه أحدٌ من ثلاث آلهات، أو واحِدٌ من ثلاث آلهات[3]، وعلى هذا المعنى؛ لا بدَّ من أن يَكُونَ في الآية إضمارٌ واختصارٌ بحذفِ لَفْظِ الآلهة، لِوُضُوحِ المعنى وبيانه مِن خِلَالِ السِّياق[4].

### توجيه جملة توحيد الألوهيَّة:

الاعتقاد الحقُّ: أنَّ الإلـه واحـدٌ فردٌ صمدٌ

قوله: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ﴾ عطفٌ على جملة ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ﴾؛ لِبَيَانِ الحقِّ في الاعتقاد بعد ذِكْرِ الاعتقاد الباطل، ويجوزُ جَعْلُ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/282.

(2) الواحدي، التفسير البسيط: 7/481. وقيل غير ذلك: عن المتكلمين أنَّ النَّصارى يقولون: جوهر واحد، ثلاثة أقانيم: أب، وابن وروح القدس، وهذه الثلاثة إله واحد، كما أنَّ الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة. وعنوا بالأب: الذات. وبالابن: الكلمة. وبالروح: الحياة. الرازي، مفاتيح الغيب: 12/409.

(3) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/196.

(4) الواحدي، التفسير البسيط: 7/482.

الجُملةِ حالًا مِن ضَمِير ﴿قَالُوٓاْ﴾، أي: قالوا هذا القولَ في حال كونِه مخالفًا لِلْوَاقِعِ، فيكون كالتَّعليل لِكُفْرِهم في قولهم ذلك، ومعناه على الوجهين: نفيٌ عَنِ الإله الحقِّ أن يكون غيرَ واحدٍ[1].

### الجملة تقريرٌ لعقيدة التَّوحيد المستقيمة:

وفي النَّصِّ تقريرٌ لعقيدة التَّوحيد المستقيمة الصَّحيحة بصيغةٍ تفيدُ استحالة أنْ يكون الإلهُ غيرَ واحدٍ؛ لأنَّه لا ينتظم الكون والسَّماء والأرض، ومَن فيهما كما جاء في قولِهِ تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22][2].

### من خالف المعقولَ يستحقُّ التَّوبيخ:

وفيه - أيضًا - توبيخٌ موجَّهٌ إليهم على مخالفتهم المعقولَ، ومجانَبَتِهم ما يقرُّه أهلُ العقول، ولذلك حذَّرهم سبحانه عن أنْ يَسِيروا في طريق الغيِّ، ويُمْعِنُوا في مسالك الإنكار والجُحود، وأن يَعُودوا إلى الحقِّ[3].

### علَّة إيثار النَّفي بـ (ما) على (لا):

لمَّا كان الأمرُ متعلِّقًا بِشأنِ الألوهيَّةِ؛ فإنَّ ترسيخَ نفيها عن غيرِه واجبٌ

جاءت جملة: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ بأقوى أساليب القَصْر، وهو اشتمالها على (ما) و(إلَّا)، مع تأكيد النَّفي بِـ (مِن) المفيدةِ استغراقَ النَّفي[4]، وعدلَ عن النَّفي بلا النَّافية للجنس إلى النَّفي بـ (ما)، فلم يقل: (وَلَا إلهَ إلَّا إله واحد) عنايةً بإبراز حرفِ (مِن) الدَّالِّ بعد النَّفي على تحقيق النَّفي، فإنَّ النَّفي بحرف (لا) ما أفاد نفيَ الجنس إلَّا بتقدير حرف (مِن)، فلمَّا قُصِدَتْ زيادةُ العنايةِ بالنَّفي هنا؛ جِيء بحرف (مَا) النَّافية[5].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/282.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2308.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2309.
(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 4/239.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/283.

### بيانُ المتشابه اللَّفظيِّ:

القصدُ: إبطال عقيدة التَّثليث، لا تعيينُ الإلَـهِ المعلومِ

قال في سورة ال عمران: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [آل عمران: 62]، وقال ههنا: ﴿إِلَّآ إِلَٰهُ وَٰحِدٌۚ﴾ دون أن يصرِّح باسمه الأعظم؛ لإفادة حصْرِ وصفِ الإلهيَّة في واحدٍ، فانتفى التَّثليثُ المحكيُّ عنهم، وأمَّا تعيينُ هذا الواحد مَن هو؛ فليس مقصودًا تعيينُه هنا؛ لأنَّ القصد إبطالُ عقيدة التَّثليث، فإذا بطل التَّثليث، وثبتتِ الوحدانيَّة؛ تعيَّن أنَّ هذا الواحد هو الله تعالى؛ لأنَّه متَّفق على إلهيَّته، فلما بطلتْ إلهيَّة غيرِه معه؛ تمحَّضتِ الإلهيَّة له، فيكون قولُه هنا: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهُ وَٰحِدٌۚ﴾ مساويًا لآية آل عمران: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [آل عمران: 62]، إلَّا أنَّ المقام اقْتَضَى تعيينَ انْحِصَار الإلهيَّة في الله تعالى دُون عيسى، ولم يَجْرِ فيه ذِكْرٌ لتعدُّد الآلِهَة[1].

### علَّة التَّعبير عن القول بالفعل المضارع:

الأمـر بالانتهاء يـنـاسـب ديمومة الفعل واستمراره

معنى قوله: ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾، أي: عن قولهم المذكور آنفًا، وهو أنَّ الله ثالثُ ثلاثةٍ، وقد جيءَ بالفعلِ المضارع؛ لأنَّه المناسبُ للانتهاء؛ إذ الانتهاء إنَّما يكون عن شيءٍ مستمرٍّ، كما ناسبَ قولُه: ﴿قَالُوٓاْ﴾ قولَه: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ﴾؛ لأنَّ الكُفْر حصلَ بقولهم ذلك ابتداءً مِن الزَّمن الماضي[2].

### دلالة ﴿مِنْ﴾ في جملة توحيد الألوهيَّة:

لا إلـهَ حـقٌّ قطُّ في الـوجـود إلَّا إلـهٌ مـوصـوفٌ بالوحدانيَّة

﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهُ وَٰحِدٌۚ﴾ دخلتْ مؤكِّدة[3]، ومعناها: الاستغراق، وهي القدرة معَ (لا) الَّتي لنَفْي الجِنْسِ في قولكَ: (لا إله إلا الله)، والمعنى: وما إلهٌ حقٌّ قطُّ في الوجود إلَّا إلهٌ موصوفٌ بالوحدانيَّة لا ثانيَ له، وهو الله وحدَهُ لا شريك له[4]، فحصرُ إلَهيَّتِهِ في صفة الوحدانيَّة[5].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/283.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/283.
(3) الواحدي، التفسير البسيط: 7/483.
(4) الزمخشري، الكشاف: 1/664، والرازي، مفاتيح الغيب: 12/409.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/330.

### تفيد ﴿مِنْ﴾ استغراقَ النَّفي وشمولَه لكُلِّ نوع من أنواع المتعدِّد:

وأفادتْ ﴿مِنْ﴾ الاستغراقَ؛ لأنَّها تدخل لابتداء الجِنس إلى انتهائه، فقولك: هل مِن رجلٍ؟ تقديرُه: هل مِن واحد هذا الجِنس إلى أقصاه؟[1] فهي لتَأْكِيد عمومِ النَّفي، فصار النَّفي بـ (مَا) المقترنَةِ بها مساويًا للنَّفي بـ (لا) النَّافية لِلْجِنس في الدَّلالة على نفي الجنس نصًّا[2]؛ لتكون العبارة أشدَّ تأكيدًا لنفي تعدُّد الإله وأوسع من عبارة: لا إله إلَّا إله واحد؛ لأنَّ (مِن) بعد (ما) تفيد استغراقَ النَّفي وشمولَه لكُلِّ نوع من أنواع المتعدِّد وكلِّ فرد مِن أفراده، فليس ثَمَّ تعدادُ ذواتٍ وأعيان، ولا تعدُّد أجناس أو أنواع، ولا تعدُّد جزئيَّات أو أجزاء[3].

### في استغراق النَّفي تشنيعٌ عليهم، وردٌّ لدعوَاهم:

والمقصودُ من المبالغة في النَّفي: التَّشنيعُ والرَّدُّ عليهم في دعواهم التَّثليث؛ لأنَّ حقيقة الإله هو المعبود، وليس شيء من استحقاق الألوهيَّةِ وصفًا لعِيسَى ولا لأمِّه، ولا لأحَدٍ أبدًا سواه ﷻ، فهو (المتَّصف بكلِّ صفة كمال، منزَّهٌ عن كلِّ نقص، منفرد بالخلق والتَّدبير، ما بالخلق مِن نِعْمَة إلَّا منهُ، فكَيْفَ يُجعل معه إلهٌ غيره؟ تعالى الله عمَّا يقول الظَّالِمُون علوًّا كبيرًا)[4].

### براعة التَّرقِّي في العطف:

**من عميم رحمة الله تعالى إتْبَاعُ الإخبار بالتَّحذير ثُمَّ التَّرغيب**

لَمَّا أخبر أنَّهم كفروا، وأشار إلى نقض قولِهم؛ كان أنسبَ الأشياء بعدَهُ أنْ يعطف عليه ترهيبهم ثُمَّ ترغيبهم، فقال تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ﴾[5]، وفيه تحذيرٌ مِنَ الله سبحانه لَهُمْ عَن أن يَسْتَمِرُّوا في هذا القول الكاذبِ على الله تعالى، وعلى رسولِهِ المَسِيح عيسَى[6] عليه السلام.

(1) الطيبي، فتوح الغيب: 5/444.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/282.
(3) رضا، تفسير المنار: 6/401.
(4) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 240.
(5) البقاعيّ، نظم الدَّرر: 6/253.
(6) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2309.

### علَّة إيثار لفظ الانتهاء:

الانتهاء يحتمل العدول عن القول والاعتقاد

معنى الانتهاء يتضمَّن أمرين: أنْ يعدلوا عن ذلك القول، وألَّا يعتقدوه ولا يُؤمِنُوا به، ولم يكتفِ بالانتهاء عنِ العقيدة، ولكنَّ اللّٰه سبحانه ذكرَ الانتهاءَ عن القولِ لِلْإِشَارَةِ إلى أنَّ هذا كلامٌ يقولونه، ولا يُمْكِنُ أن يَكُونَ عقيدةً يعتقدُونَهَا؛ لأنَّه كلامٌ لَا يتَّفق مع العقل، وقد كذَّبهم عيسى عليه السلام بما قرَّره في دعوته، وبيَّن أنَّ الشِّرك ظلم عظيم، وأنَّ مَن يُشْرِك باللّٰه مأواه جهنَّم، وأنَّ اللّٰه حرَّم عليه الجَنَّة[1].

### بديع التَّحذير بالقسم المَطْوِيِّ:

أكَّدَ الوعيدَ بالقسم ترهيبًا لاعتقادهم أنَّ في صَلْبِ عيسى كفَّارةً لهم

جوابُ القَسمِ المحذوف سادٌّ مسدَّ جوابِ الشَّرط المحذوف؛ لبيان معناه بدلالة القسم عَلَيْهِ، ولأنَّه إذا اجتمعَ شرطٌ وقسمٌ؛ أُجيب سابقُهما، والمعنى: وباللّٰه إن لَم ينتهوا؛ ليمسَّنَّهم[2]، وأكَّد تعالى الوعيدَ بالقسم المطويِّ الذي دلَّت عليه اللَّام في قوله: ﴿لَيَمَسَّنَّ﴾ ردًّا على اعتقادهم: أنَّهم لا تمسَّهم النَّار؛ لأنَّ صَلْبَ عيسى في زعمِهم؛ كان كفَّارةً عن خطايا البشر[3].

### نكتة توكيدِ الوعيد:

عِظَمُ الذَّنب مدعاةٌ للتَّشديد وزيادةِ التَّخويف

أردفَ بيانُ القرآنِ توكيدَ الوعيدِ والعذابِ الشَّديد بالقسمِ المطويِّ الذي دلَّت عليه اللَّام في ﴿لَيَمَسَّنَّ﴾ بالنُّون المؤكِّدة، وتنكير العذاب، ووصفه بالألَمِ الشَّديد؛ وفي ذلك ترسيخٌ لترهيبهم، وزيادة في تخويفهم جزاءَ ما اقترفوه مِن شِرْكٍ[4].

### بلاغة المجاز في المَسِّ:

إطلاق الإصابة وتقييدها بالأليم: تصويرٌ لسعة شدَّتها

المسُّ مجازٌ في الإصابة؛ لأنَّ حقيقته وضعُ اليد على الجسم، فاسْتُعمِل في الإصابة بجامع الاتِّصال، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2309.
(2) السّمين، الدُّرّ المصون: 4/375، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/67.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/283، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2309.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/283، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2309.

﴿بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنعام: 49]، فهو دالٌّ على مطلق الإصابة من غير تقييد بشدَّة أو ضعف، وإنَّما يرجع في الشِّدَّة أو الضَّعف إلى القرينة، مثل ﴿أَلِيمٌ﴾ هنا، ومثل قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [الأنعام: 49] في الآية الأخرى[1].

### في المسِّ إصابةٌ لموضع الإحساس، وهو الجلد:

والتَّعبير بالمسِّ أَوْلَى؛ إذِ المراد أنَّه يمسُّ جِلْدَهُم، ويُصيبُ موضع الإحساس فيهم، أي: إنَّ العذاب المؤلم مستمرٌّ[2]، وهو أَدْعَى لِلْخَشْيَة والخوف والرَّهبة.

وعبَّر بالمسِّ للإشارة إلى شدَّة ما يصيبهم من آلامٍ؛ لأنَّ المراد: أنَّ هذا العذاب الأليم يصيب جِلْدَهُم، وهو موضع الإحساس فيهم إصابة مستمرَّة، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ [النساء: 56][3].

### توجيه المتشابه اللَّفْظيّ بينَ (المسّ) و(الإصابة):

المَسُّ أدلُّ على شدَّة العذاب من الإصابة، وأنسبُ لعظيم كفرهم

قال هنا: ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وقال في التوبة: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾ [التَّوبَة: 90] فَخُصَّتْ آية المائدة بلفظة (يمسّ) لتقدُّم قوله: ﴿وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ﴾، فلمَّا كان هؤلاء يقولون: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾ فكان ذلك من أشدِّ الكذب والافتراء على الله تعالى؛ ناسبه ذِكْرُ (يمسّ) الدَّالُّ على المبالغة في العذاب وشدَّته؛ لكونه يصيب موضعَ الإحْسَاس منهم، وهو الجُلود، وتأكيده بلَام التَّوكيد ونُونِهِ الثَّقيلة بقوله: ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أمَّا آية التَّوبَة؛ فقد صُدِّرت بقوله: ﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾ [التَّوبَة: 90]، فلمَّا كان ذلك أخفَّ جرمًا ممَّا سبق؛ ناسبه ذكر (يصيبُ)، ولمَّا أُريد إعطاء مَن قعدوا مُهْلَةً كي يَتُوبُوا إلى الله تعالى؛ ناسبه التَّعبير بالسِّين في قوله: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾ [التَّوبَة: 90].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/284.
(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 5/2309.
(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 4/240.

### علَّة التَّعبير عن الكافرين بالاسم الموصول:

في التَّعبير بالاسم الموصول تَسْجيلٌ لِكُفْرِهم، وتكريرُ الشَّهادة بذلك عليهم

أُقيمَ الاسمُ الموصولُ الظَّاهرُ مُقامَ المُضْمر، مع كون الرَّبط يصحُّ حصولُه بقوله: (ليمسَّنهم)؛ لتكرير الشَّهادة عليهم بالكُفْر في قوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ﴾، وللإعلام بأنَّهم كانوا بمكانٍ مِنَ الكُفْر؛ إذ جُعِلَ الفعلُ في صِلَةِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾، وهي تقتضي كونَها معلومةً للسَّامع، مفروغًا من ثبوتها، واستقرارها لهم[1]، وليكون الاسمُ الموصول مشيرًا إلى سبب الحُكْم المُخبرِ به عنه[2].

### نكتة التَّعبير بالفعل دون الاسم:

في التَّعبير بفعل الكُفْر دلالةٌ على دوامهم عليه

وجيء بالفعل المنبئ عن الحدوث ﴿كَفَرُوٓاْ﴾ دون (الكافرين)؛ تنبيهًا على أنَّ الاستمرار عليه بعدَ وُرود ما ينحى عليه بالقلع من نصِّ عيسى عليه السلام وغيره: كفرٌ جديد وغلوٌّ زائد على ما كانُوا عليهِ من أصل الكُفْر[3].

### براعة التَّعبير بحرف الجرِّ (من) في جملة الوعيد:

علم مآلاتِ الأمور بيد الله وحده، وحكمه عن علم سابق

(من) في قوله: ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾ للبيان، كالتي في قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾[4]، وإنَّما قال تعالى: ﴿مِنْهُمْ﴾ لعلمه السَّابق أنَّ من النَّصَارى مَن سَيُؤْمِنُ، ويُخلِصُ، ويتركُ هذا القولَ، ويعلم أنَّه فاسد[5].

### توجيهُ الوعيدِ على مَنْ دام به الكُفْر، وأصرَّ على فعْلِه:

ويقتضي قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾، أنْ يكون بعضٌ منهم كافرين، مع حكمه في المطلع بكفرهم جميعِهِم بقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾، فـ(مِنْ) للتَّبعيض، أي: كائنًا منهم، والرَّبط حاصلٌ

(1) الزمخشري، الكشاف: 1/664، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/331.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/284.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/67.
(4) الزمخشري، الكشاف: 1/664.
(5) الخازن، لباب التأويل: 2/66.

بالضَّمير، فكأنَّه قيل: كافرهم، وليسوا كلُّهم بَقُوا على الكُفْر، بل قد تاب كثيرٌ مِنهم مِنَ النَّصرانيَّة[1]، وإنَّما بعَّضَ؛ تنبيهًا على أنَّ العذاب يتوجَّه على مَن دام به الكُفْر، وثبتَ عَلَيْهِ، واتَّصفَ به، ولم يُقْلِع، ولهذا أعقبه بقوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ﴾[2].

### في ذكر ﴿مِنْهُمْ﴾ احتراسٌ يخصِّص الكُفْر بمن ثلَّث:

كرَّر تسجيلَ كفرِهم بالاسمِ الموصولِ، ورسَّخه بقوله: ﴿مِنْهُمْ﴾؛ ليكون بيانًا للَّذين كفروا قُصد منه الاحتراسُ عن أن يَتوهَّم السَّامع أنَّ هذا وعيدٌ لكفَّار آخرين[3]، والمَعْنَى: ليمسَّنَّ الَّذينَ كَفَرُوا مِنَ النَّصَارى خاصَّة عذاب أليم[4].

### في ذكر ﴿مِنْهُمْ﴾ تجريدٌ يُظْهِرُ كمال صفة الكُفْر فيهم:

ذكر ﴿مِنْهُمْ﴾؛ تنبيهًا عَلَى أنَّهم بالغوا في الكُفْر بحَيْثُ صاروا أعلامًا للكفر مشاهيرَ فيه، حتَّى أمكن أنْ يُعرِّف الكُفْر لهم؛ فهو من باب (رأيت منكَ أسدًا)، أي: من باب التَّجريد[5]، فقد جُرِّد مِن نَفْسِ النَّصَارى الَّذينَ كَفَرُوا مُبَالَغَة لكمال الكُفْر فيهم[6].

### سرُّ وصف العذاب بالأليم:

تخصيص العذاب بالأليم يناسب سُوء صنيعهم

معنى: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أي: نوعٌ شديدُ الألم من العذاب، مبالغٌ فيه، كما تقول: أعطني عشرين مِنَ الثِّياب، تريد مِن الثِّياب خاصَّة لا مِن غيرها من الأجْناس الَّتي يجوز أن يتناولها لفظُ (عِشْرين)[7].

### بلاغة تقديم الوعيد على سمات الحدوث:

وقدَّم الوعيد ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ﴾ على الاستدلال

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/331.
(2) الراغب، تفسير الرّاغب: 5/410، والقونوي وابن التمجيد، حاشيتان على البيضاوي: 7/531.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/284.
(4) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على البيضاوي: 7/530.
(5) التجريد: وهو أن يُنتزع من أمر ذي صفة أمرٌ آخرُ مثله في تلك الصِّفة مبالغةً في كمالها فيه. ينظر: القزويني، الإيضاح، ص: 338.
(6) الطيبي، فتوح الغيب: 5/446، والقونوي وابن التمجيد، حاشيتان على البيضاوي: 7/530.
(7) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/331، والقونوي وابن التمجيد، حاشيتان على البيضاوي: 7/530.

بسِمَاتِ الحدوث ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾؛ مبالغَةً في الزَّجر، وتبعيدًا عما اعتقدته النَّصَارى فيهما مِنَ الإلهيَّة؛ لأنَّ من احتاج إلى الطَّعام وما يتبعه من عوارض الحدوث؛ لم يكن إلَّا جسمًا مركَّبًا من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط وغير ذلك، وهو ممَّا يدلُّ على مصنوعٍ مؤلَّفٍ مُدبَّرٍ كغيره من الأجسام، أي: هذه المقالة في غاية الفساد، بحيث لا تختلف العقول في فسادها، فلذلك توعَّد أوَّلًا عليها بالعذاب، ثُمَّ أتبعَ الوعيدَ بالاستدلال بسمات الحدوث على بطلانها[1].

بالغَ في الزَّجر والتَّنفير عن اعتقاد النَّصَارى؛ فقدَّم الوعيد:

## ❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

### اللَّمسُ والمَسُّ والجَسّ:

اللَّمس: إدراكٌ بظاهر البشرة، فهُوَ لصوق بإحساس، وهو أَعمُّ مِمَّا هُوَ بِاليَدِ، وقد يُقَال لطلب الشَّيء، وَإِن لم يُوجد، والمسُّ: الإصابة، وهو في اللُّغة: التقاء الشَّيئين من غير فَصْلٍ، أو الجمع بين الشَّيئين على نهاية القرب، ويُقَال فِيمَا مَعَه إِدْرَاك بحاسَّة اللَّمس، فحقيقتُهُ: اللَّمسُ باليد، ونُقِلَ مِن الإحساس إلى المعاني؛ ليكنَّى بِهِ عَن النِّكَاح وَالجُنُون، وقد يُقَالُ في كلِّ مَا ينَال الإِنْسَان من أَذَى[2].

المسُّ: إصابةٌ مقصودة بإدراك مؤدِّية إلى تأثُّرٍ

فالمسُّ اتِّصال الشَّيء بالبشرة بحيث تتأثَّر الحاسَّة به، واللَّمس كالطَّلب له، ولذلك يقال: أَلَمَسُهُ، فلا أَجِدُه[3]، ويُقال: المسُّ أقلُّ تمكُّنًا مِنَ الإصابة، وكأنَّه أقلُّ درجاتها[4]، ومِن هنا: فالمسُّ واللَّمْسُ والجَسُّ متقارب، إلَّا أنَّ الجَسَّ عامٌّ في المحسوسات، والمسُّ فيما يخفى ويدقُّ، والمسُّ واللَّمس بظاهر البشرة[5]، وقيل: اللَّمس: لا يكون عن قصد، والمسُّ: يكون مقصودًا، أو غير مقصود، تقول: (تماسَّ الحجَرانِ)،

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/330، 333.
(2) الراغب، المفردات: (مسس)، و(لمس)، وأبو حيان، البحر المحيط: 1/231، والكفوي، الكليات، ص: 799.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 1/90.
(4) القاسمي، محاسن التأويل: 2/396.
(5) أبو حيان، البحر المحيط: 1/231.

ولا يقال: (تلامسَ الحجران)[1]، ولمَّا كان المسُّ إصابةً مقصودة تُدْرِكُهَا الحواسُّ، وتتأثَّرُ بها؛ فهي أنسبُ إلى سياق الآية التي تتحدَّث عَن وعيدٍ بعذاب أليم.

**المسُّ يقتضي المبالغة في عذابهم والشِّدَّة فيه**

قال الرَّاغب: "إنْ قيلَ: لِمَ قالَ: ﴿لَيَمَسَّنَّ﴾، فذكر المسَّ، وذلك يقتضي تقليلَ العذاب؛ قيل: بل المسُّ يقتضي مبالغةً في وصف عذابهم؛ لأنَّ المسَّ يقتضي اللَّمْسَ، وذلك أعمُّ الحواسِّ وأكثرها وجودًا؛ إذْ لا حيوان إلَّا وله اللَّمس، ولأنَّه أعرفُ الحواسِّ عند الخاصِّ والعامِّ"[2]، فالعذابُ الأليم - بحسب ما مرَّ ذِكْرُه - يُصِيبُ جلدَهم، وهو موضع الإحساس فيهم إصابة مستمرَّة مباشرة[3]، فـ(المسُّ: مباشرة الجِسم)[4]، والمبالغةُ في العذاب - بإصابة موضع الإحساس لديهم - تناسبُ الألم الموصوف به.

(1) البسيلي، التقييد الكبير، ص: 565.
(2) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 5/410.
(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 4/240.
(4) السّمين، عمدة الحفاظ: (مسس).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 9 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-61-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 9 : سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي
---
الترقيم الدولي : 978-9948-798-61-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»